وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الثاني

محفوظة
جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778334

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الثاني، (٥٢٨ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٢) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

أثرُ الإمامِ عليّ عليه السلام في المدوّناتِ الإسلاميّةِ بالتحليلِ الاستقصائيِّ والبيانيِّ ١١

أ.د. أحمد الصفّار

مرتكزاتُ الحكمِ الرشيدِ في فكرِ الإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٧١

أ.د. بشير هادي عودة الطائي

الأثرُ القرآنيُّ في شخصيّةِ الإمامِ عليّ عليه السلام (دراسةُ المعنى للمفاهيمِ القرآنيّةِ التي استقاها الإمامُ عليّ عليه السلام من معينِ القرآنِ الكريمِ) ١١٥

أ.د. عبد علي سفيح

التكاملُ الدلاليُّ بينَ لغةِ القرآنِ الكريمِ ولغةِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام (وصفُ القرآنِ الكريمِ مثالًا)..... ١٤٥

أ.د. فضيلة عبّوسي محسن العامريّ

الظّواهر اللغوية فيما رُوِيَ عن الإمام عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السلام القراءات القرآنيّة نموذجًا.. ١٦٥

أ.د. وليد السّراقبيّ

أثرُ عقيدةِ الدينِ في سيرةِ أميرِ المؤمنينَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٢٠٧

أ.د. حاتم كريم جياد

الأثرُ القرآنيّ للإمامِ عليّ عليه السلام في الفكرِ الاستراتيجيِّ وسياسةِ الحكمِ الرشيدِ..... ٢٤٧

أ.م. أحلام أحمد عيسى

المَوَاعِظُ القُرآنِيَّةُ فِي الحِكَمِ التَربَوِيَّةِ لِلإِمَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ عليه السلام ٢٧٥

أ م د. خالد يونس النعمانيّ / أ م د. محمّد خضير عبّاس الجيلاوي

تحليل الأثر القرآني لأميرالمؤمنين عليه السلام في فكر الاقتصاد الإسلامي (الشهيد الصدر أنموذجًا)..... ٣٢١

أ.م.د. أصغر طهماسبي البُلداجي

الإجراءاتُ الماليّةُ والاقتصاديّةُ للإمامِ عليّ عليه السلام وأثرُها في فهمِ النصِّ القرآنيِّ ٣٥٩

أ.م.د. جمعة ثجيل عكلة الحمدانيّ

دورُ الإمام عليّ عليه السلام في مواجهة الإرهاب الفكريّ..... ٣٨٣

أ.م.د. حسين رشك خضير

الولاةُ في فكرِ الإمام عليّ عليه السلام ٤٠٥

أ.م.د. حيدر عليّ كاظم حسين التميميّ

أثرُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام القرآنيُّ في التخصُّصاتِ العلميَّةِ (الجبال أنموذجًا) ٤٣١

أ. م. د رعد جلال فتحي العطار

توظيف الشاهد القرآني في خطب الإمامِ عليّ عليه السلام دراسة تحليلية ٤٥٩

أ. م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي

أخلاقيّاتُ الإعلامِ في فكرِ أميرِ المؤمنين الإمامِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٨٣

أ.م.د. علي شمخي الفتلاوي

المفاهيمُ القرآنيّةُ في إحدى خطبِ نهجِ البلاغةِ قراءةٌ في الأبعادِ التربويّةِ ٥٠٣

أ.م.د فاضل كاظم صادق العليّ

الأثرُ القرآنيُّ في شخصيّةِ الإمامِ عليّ عليه السلام

(دراسةُ المعنى للمفاهيمِ القرآنيّةِ التي استقاها الإمامُ عليّ عليه السلام من معينِ القرآنِ الكريمِ)

أ.د. عبد علي سفيح

فرنسا/ أستاذ ومستشار في وزارة التربية والتعليم العالي الفرنسية

الملخص:

نكتب بحثًا عن سيرة نهاية بطل وولادة أسطورة، وعن ظاهرة بشريّة وقرآنيّة وتاريخيّة وسياسيّة وفلسفيّة وأدبيّة ومعرفيّة نادرة، تركت آثارًا كبيرة وبقت في المقام الأوّل في الذاكرة الإسلاميّة الجمعيّة؛ بوصفه رمزًا للعدالة الإنسانية، وهو الإمام عليّ عليه السلام .

يقع على عاتق هذه الدراسة بيان علاقة الإمام عليّ بالقرآن، وفهمه لمعنى الأخوّة، والعمل، والعدل، ووحدة الأمّة، والحوار، والمعرفة، والمعنى للوجود، باستخدام الفينومينولوجي (علم دراسة الظواهر)، والجينيالوجي (علم المنشأ)، بوصفها وسائل بحثيّة حديثة في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحيّة: الأثر القرآنيّ، شخصيّة الإمام عليّ، المعنى، المفاهيم القرآنية.

Abstract:

We are writing a study on the biography of the end of a hero and the birth of a rare human، historical، philosophical، literary، and cognitive legend that left great impacts and remains primarily in the collective Islamic memory as the symbol of human justice، which is Imam Ali. All six topics of the Sixth Annual International Imam Hussein conference begin with the Quranic impact of Imam Ali on various sciences. That is، Holy Quran is the gateway of the city of this conference، and hence the title of this research was chosen، considering the concept of the Quran according to Imam Ali is the starting point of the research.

This study shows the Imams relationship with the Quran، and his concept of the meaning of brotherhood، work، justice، the unity of the nation، dialogue، knowledge، and the meaning of the existence، using the latest scientific research methods such as phenomenology and genealogy.

المقدّمة:

نكتب بحثًا عن سيرة نهاية بطل وولادة أسطورة، وعن ظاهرة بشريّة وقرآنيّة وتاريخيّة وسياسيّة وفلسفيّة وأدبيّة ومعرفيّة نادرة، تركت آثارًا كبيرة وبقت في المقام الأوّل في الذاكرة الإسلاميّة الجمعيّة، بوصفه رمزًا للعدالة الإنسانيّة، وهو الإمام عليّ عليه السلام .

كلّ المحاور الستّة في مؤتمر الإمام الحسين الدوليّ السنويّ السادس تبدأ بالأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام في شتّى العلوم، أي إنّ القرآن الكريم هو باب مدينة هذا المؤتمر، ومن هنا وقع اختيار عنوان هذا البحث للنظر في مفهوم القرآن عند الامام عليّ الذي يمثّل نقطة ابتداء البحث.

القرآن الكريم هو أحد الكتب السماويّة، ويؤمن المسلمون بأنّه كلام اللَّه المقدّس، والمصدر الأوّل للتشريع الإسلاميّ، وهو كلام اللَّه المنزل على رسوله محمّد صلى الله عليه وآله بالوحي عبر الملك جبرائيل، ويعدّ المسلمون دراسة القرآن وتعلُّمه وحفظ آياته من أهمّ العلوم التي يجب عليهم تعلُّمها، ويحترم المسلمون القرآن كثيرًا، فهو عندهم معجزة الإسلام الخالدة.

والقرآن الكريم كان وما زال محورًا لكثير من الدراسات منذ اللحظة الأولى لنزوله على صدر الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى الرغم من تنوّع هذه الدراسات وتعدُّدها، وما بذله العلماء الأجلّاء فيها من جهود مضنية للإحاطة بكثير من جوانبه، فقد بقيت هذه الجهود قاصرة، وشاهدة بذاتها على أنّ النصّ القرآنيّ يتجاوز كلّ طاقات النفس البشريّة، وعلى الرغم من توالي الأحقاب والسنين، وتنوّع الأعمال التي أُلِّفَت حول القرآن الكريم ودراساته، فقد بقي المجال مفتوحًا لأعمال أخرى تُضاف إلى الأعمال السابقة، وتسدّ فراغًا لا تسدُّه مجتمعة أو متفرّقة.

ولم تحظ شخصيّة عربيّة أو إسلاميّة بمثل الاهتمام الذي أُحيط بشخصيّة الإمام عليّ، شخصيّة ملهمة للكثير من الكُتّاب والأدباء والعلماء عبر العصور؛ لسبر أغوارها والوقوف على أسرار عظمتها وتميّزها. ونرى أنّ ثمّة من تعامل مع شخصيّة الإمام بأعجاب وتقدير واحترام، وهناك من تعامل معها بمغالاة، وهناك من حاول تجريدها من كلّ ما تتمتّع به من فضائل، وينبغي أن اذكر أنّ دراسة الإمام عليّ الشخصيّة سوف لا تستوفي قدْرَه وقيمته وحدوده مهما جدّ واجتهد الباحثون في ذلك؛ لأنّ الإمام عليّ والرسول صلى الله عليه وآله وجهان لشخص واحد، جعله الرسول كنفسه، أو منه بمنزلة هارون من موسى، وباب مدينة علمه، وبما أنّ الرسول هو ظاهرة كونيّة، فالإمام علي أيضا هو ظاهرة كونيّة.

ودراسة الظواهر الكونيّة تستوجب مناهج حديثة في العلوم الإنسانية، ومنها، الفينومونولوجي، والجينيالوجي، والأنثروبولوجي، والابستمولوجي، ومن طريق هذه العلوم استطعنا أن نكتشف الأبعاد الحقيقيّة ومفهوم الإمام لمعاني القرآن. وهذه الدراسة تبيّن علاقة الإمام عليّ بالقرآن، ومفهومه لمعنى الأخوّة، والعمل، والعدل، والوحدة، والحوار، والمعرفة، والوجود.

المنهج المتّبع في هذه البحث:

لا شكّ أنّ عصرنا الحالي هو عصر العلم الحديث والبحث العلميّ الذي يتصدّى لمشكلات المجتمع ويتحمّل عبأ النهوض بالمجتمعات الناشئة، بل ويعدّ قاطرة التنمية في المجتمعات المتقدّمة، وتقدُّم البحث العلميّ رهين بالمنهج، إذ يدور معه وجودًا وعدمًا، خصبًا وعقمًا، صدقًا وبطلانًا، ومن هنا كان اهتمامنا البالغ بتحديد المنهج العلميّ لهذه الورقة .

أمّا مناهج الوصول فهي عدّة، ولكنّ أشهرها هو المنهج الاستقرائيّ، وهو المهيمن كليًّا على العلوم البحتة، وأقلّ بقليل في العلوم الإنسانيّة وخاصّة في علوم التاريخ والاجتماع.

وفي هذه الورقة البحثيّة اعتمدتُّ المنهج الاستنباطيّ في ضوء التفسير الموضوعيّ، باستخدام وسائل بحثيّة حديثة، ومنها الفينومولوجي، أي علم دراسة الظواهر، دراسة نوعيّة لعقيدة الدين ونظرتها للعالم والإنسان، وأمّا الوسيلة الثانية فهي الجينيالوجي أي علم المنشأ.

١. الإمام عليّ والقرآن:

الإمام عليّ وُلِد مع ولادة القرآن، ونما مع التنزيل، واكتمل مع اكتماله، فهو بحقّ قرآن ناطق. فمن أراد أن يفهم هذه الشخصيّة فهمًا يليق بمنزلته، عليه أن يدرس القرآن ويقرأه قراءة باحث عن أسراره ومكامنه حتّى يتمكّن أن يفهم الأسرار العجيبة التي أدّت إلى أن يكون ابن أبي طالب عليًّا وسرًّا إلهيًّا، وأنّ التأريخ الذي كتب عنه لا يكفي لفكّ مفاتيح أسرار شخصيّته، فالتأريخ -ومع الأسف- لم يدوّن إلّا الحروب والمعارك التي خاضها دفاعًا عن وحدة الرعيّة، وحفظًا لكرامة الإنسان، ورعاية لحدود الإسلام.

كان للقرآن مكانة خاصّة في حياة الإمام عليّ، كما في وصفه إيّاه: ((نورًا لا تُطفأ مصابيحه، ولا يَخمُد توقُّده، وبحرًا لا يُدرك قعره، ومنهاجًا لا يضلّ نهجه، وفرقانًا لا يَخمُد برهانه، فهو معدن الإيمان، وبحبوحته، وينابيع العلم، وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، جعله اللَّه ريًّا لعطش العلماء، وربيعًا لقلوب الفقهاء، وبرهانًا لمن تكلَّم به، وفلجًا لمن حاجّ به، وآية لمن توسَّم به، وحديثًا لمن روى، وحكما لمن قضى))[1].

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢/ ١١٣ .

إنّ ثنائيّة القرآن والإمام عليّ لها خصوصيّة؛ لأنّ القرآن الكريم ينتمي إلى عالم الأمر وليس إلى عالم الخلق، وينتمي إلى عالم الغيب وليس إلى عالم الشهادة، وهنا أمامنا سؤالين يجب الإجابة عنهما:

السؤال الأوّل: إذا كان القرآن الكريم ينتمي إلى عالم الأمر وليس إلى عالم الخلق، فهل إمامة عليّ وأهل بيته جاءت بها الأحداث، أو هي التي جاءت بالأحداث؟ بمعنى آخر، هل إمامة عليّ وأهل بيته كحقيقة سبقت الوجود بالمفهوم الفلسفيّ، أو الوجود سبقها ؟

إذا كانت الأحداث هي التي جاءت بإمامة عليّ وأهل بيته، أي الوجود سبق الحقيقة، فهنا تصبح الإمامة حدث تأريخيّ، والكتب التي نكتبها والشعائر التي نحييها هي إحياء لذاكرة، أمّا إذا كانت إمامة عليّ وأهل بيته هي جاءت بالأحداث، أي الحقيقة سبقت الوجود، فهنا تصبح الإمامة عقيدة وليست حدث تأريخيّ، أي ممكن القول بأنّ علاقة الإمام عليّ بالقرآن هي علاقة ظاهرة قرآنيّة وليست ظاهرة تاريخيّة.

السؤال الثاني: قلنا إنّ القرآن ينتمي إلى عالم الغيب وليس إلى عالم الشهادة، فما المناهج والوسائل البحثيّة التي تكشف عن العالم غير المرئيّ وإنْ كانت قوانين العالم المرئيّ وسننه مستمدَّة من العالم غير المرئيّ؟

في هذه الدراسة استخدمنا وسيلتين بحثيّتين حديثتين هما الفينومونولجيا، أي: علم دراسة الظواهر، والجينيالوجيا، وهو علم المنشأ، وباستخدام هذين المنهجين توصّلنا إلى أنّ البؤرة الأساسيّة للقرآن الكريم هي نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وإمامة عليّ وأهل بيته، ويدور حول هذه البؤرة محوران أساسيّان هما:

المحور الأوّل: عدم انقطاع اتّصال السماء بالأرض من يوم بدأ الخلق إلى يوم يبعثون، هذا الاتّصال يتمّ إمّا من طريق الرسل ومعهم الكتاب، وهذا الكتاب ميسَّر

بلسان قومهم، أو من طريق الأنبياء، أو الأوصياء، أو الحواريّين، أو الأئمّة.

المحور الثاني: هو انتقال شرف الرسالة من بني إسرائيل إلى آل إبراهيم إلى بني إسماعيل العرب إلى آل إبراهيم إلى يوم الدين، وأوّل ما بلّغ الرسول محمّد صلى الله عليه وآله قومه هو بهذا المحور بقوله تعالى ﴿وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، وقد أكّد ووضّح الإمام عليّ هذين المحورين في قوله: ((إلى أن بعث اللّه سبحانه محمّد صلى الله عليه وآله لإنجاز عِدَتِه، وتمام نبوّته، مأخوذًا على النبيّين ميثاقه... ثمّ اختار سبحانه لمحمّد صلى الله عليه وآله لقاءه ورضي له ما عنده، فأكرمه عن دار الدنيا، ورغّب به عن مقام البلوى، فقبضه إليه كريما، وخلّف فيكم ما خلّف الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملًا، بغير طريق واضح، ولا علم قائم، كتاب ربّكم مبيّنًا حلاله من حرامه...))[١].

العلاقة الراسخة بين الإمام عليّ والقرآن الكريم هي وليدة الارتباط الموضوعيّ بين هذين المحورين في القرآن الكريم، هذان المحوران رافقا الإمام عليّ في كلّ مراحل نزوله، فاتّخذ الإمام القرآن شرعة ومنهاجًا، مؤكّدا هذا الأمر من طريق خطبه وأقواله، إذ قال: ((تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب))[٢].

وليس غريبًا أن نجد أنّ السؤال المركزيّ عند الشيعة هو هويّة الأئمّة من أهل البيت، هذه الهويّة معروفة في القرآن الكريم بمفهوم الحلول أو النزول، فالإمام عليّ وأهل البيت ليسوا شخصيّات خياليّة، وأنّ القرآن الكريم ليس رواية، وأنّ اللّه سبحانه ليس فكرة، كلّ هذا تجسّد وظهر فعلًا في هذا العالم. ومن هذا المنظور فإنّ مسألة الحلول أو النزول هي حقيقة واقعة، وهذا المفهوم يحتاج إلى توضيح.

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ٢٤-٢٥.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٣/ ٣٥٣.

الإسلام دين كتاب مقدّس؛ لأنّ الكتاب هو مكان حلول كلمة اللَّه سبحانه، وهذا الكتاب ينبثق مباشرة من أمّ الكتاب في عالم الغيب ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتاب﴾[ال عمران: ٧]، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتاب﴾ [الرعد:٣٩]، بينما المسيحية هي دين الكلمة التي حلّت في المسيح عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسيحُ عيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[آل عمران:٤٥]، عند المسيحيّة القدسيّة وليست في الإنجيل؛ لأنّ الإنجيل كتبه بشر، بل القدسيّة في المسيح؛ لأنّ كلمة اللَّه حلت في جسده، أمّا اليهوديّة القدسية فهي في الأرض التي تحلّ فيها كلمة اللَّه، وهي أرض الميعاد ومركز الكون، والأنبياء الذين اصطفاهم اللَّه مع قومهم أصبحوا شعب اللَّه المختار، والتوراة ليست مكان حلول كلمة اللَّه؛ لأنّها كُتِبت من بشر، واليهودية هي دين التأويل المستمرّ؛ لأنّ كثرة القصص في التوراة تدلّ على أهميّة الوصول إلى اللَّه عبر خطابات مشروطة، والقصص هي طريقة لصياغة المشترك بين جميع التقاليد والطقوس والرموز، وطريق التفسير عند اليهود يدعم أهميّة التقليد الذي يسمح لهم بالاقتراب من اللَّه .

أظهر تاريخ اللاهوت أنّ التقاليد اليهوديّة والمسيحيّة وبعض الإسلاميّة، تشكّلت من عقيدة الحلول(النزول)، هذه العقيدة أعطت خصوصيّة لقصص ميلاد الأنبياء عند اليهود، والمسيح عن المسيحيّين، وميلاد الإمام عليّ عند المسلمين، وحين نسلّط الضوء على حقيقة الحلول، نرى أنّ العالم قد رفض اللَّه عِبر رفضهم لعقيدة الحلول أو النزول، فقتلوا كلّ من حلّت فيه كلمة اللَّه سواء عند اليهود بقوله تعالى: ﴿وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَ كانُوا يَعْتَدُون﴾[البقرة:٦١]، وقتل المسيح، وقتل الإمام عليّ وأهل بيت النبوّة.

٢. نظريّة المعرفة:

نظريّة المعرفة بُنيت عند الإمام على أنّ الكون مقدّس ومخلوق من الباريّ عزّ وجلّ بكلّ دقّة وبكلّ نظام، وأدرك ولمس سنن هذا الكون وقوانينه بنفسه، إذ قال: ((عقلوا الدين عقل رعاية ووعاية، لا عقل سماع ورواية. فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل))[١]، وهذه النظريّة جعلت من ابن أبي طالب الإمام إذا عُدّ الأئمّةُ، والحكيم إذا عُدّ الحكماء، والفيلسوف إذا عُدّ الفلاسفة، والحليم إذا عُدّ الحلماء، والزاهد إذا عُدّ الزهّاد، والشجاع إذا عُدّ الشجعان، والتقيّ إذا عُدّ التقاة.

والسؤال الذي يُطرح: كيف اجتمعت كلّ الخصال الحميدة، والقيم المجيدة، ومحاسن الأفعال، وكمال الخصال، في رجل واحد اسمه عليّ بن أبي طالب؟ لماذا لم يجتمع ولو عُشر منها في رجل ليس من قبله ولا في عصره ولا من بعده ؟

الرجال الذين تركوا بصماتهم في مسيرة التاريخ الإنسانيّ بنوا جلّ أفكارهم على نقطة بداية، وفي ضوئها بنوا صرحًا من العلوم والمعرفة، إذن ما نقطة الابتداء للإمام عليّ التي بنى في ضوئها جلّ نظرته وفلسفته للإنسان والحياة؟ هذه النقطة لا يمكن معرفتها إلّا في شيء تفرّد به الإمام عليّ عن عامّة الناس قاطبة، لم يشاركه أحد لا من قبله ولا في حينه.

وبحسب رؤية الإمام، فإنّ مصادر المعرفة متعدّدة منها العقل والفطرة والحواس والإيحاء، كلّ هذه المصادر تعدّ قِوى لمعرفة الوجود بكلّ تفاصيله، ومنها معرفة نظام الوجود، أي القوانين التي تحكم هذا الوجود التي تُسمّى بالسنن الكونيّة سواء المرئيّة أم الغيبيّة، هذه النظريّة اقتبسها الإمام من القرآن الكريم، وكان الإمام يعدّ صدر المفسّرين للقرآن، وبحرًا للعلم، قويّ الحجّة سليم الاستنباط،

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٣٢ .

وذو عقل راجح وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور، وكثيرًا ما كان يرجع إليه صحابة الرسول، وهناك حديث للنبيّ قال فيه: ((عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتّى يَرِدَا عليَّ الحوض))[1].

لقد أكّد القرآن نظريّة المعرفة للوجود بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية: ١٧-٢٢].

استخدم الإمام عليّ المنهج القرآني نفسه في معرفة الوجود وتفحّص مكوّناته بالتفصيل الدقيق، إذ بنى في ضوئه جُلّ نظرته وفلسفته للإنسان والحياة، وهذا المنهج قد تفرّد به الإمام عليّ عن الناس قاطبة، فلم يشاركه أحد لا من قبله ولا في حينه.

وتفرّد الإمام عليّ من دون سائر الناس جميعًا في ما يتعلّق بوصفه الدقيق والعميق لخلق الكون، والملائكة، والإنسان، والطاووس، والخفّاش، و النملة، والجراد، وصفها وكأنّها عالم من علماء الحيوان والحشرات والفيزياء و البايولوجيّ، فهل أراد الإمام عليّ من هذه الأوصاف الدقيقة أن يرينا جميل صنع الباري، وقدرته وعظمته ودقّة صنعه؟ إذا كان هذا هو السبب، أولم يكف وصف أثنين أو ثلاثة من هذه المخلوقات الكونيّة لكي تصل رسالته إلى العالم؟ الجواب هو ليس هذا السبب الرئيس، إذن ماذا أراد الإمام عليّ بالذات من هذه الأوصاف الدقيقة؟ أراد الإمام عليّ أن يقول إنّ اللّه سبحانه خلق نظامين مختلفين لعالمين مختلفين، العالم الأوّل عالم غير الإنسان، وهو عالم الملائكة والشجر والحجر والطير والحيوان وباقي المخلوقات الأخرى، وصفات خلق هذا العالم أنّه عالم مسيّر وليس مخيّرًا، لم يملك حقّ الاختيار، إنّه مبرمج مسبق حسب قوانين الجبريّة والقدريّة، إذ يقول:

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية، سيّد عطية أبو النجا: ٥١ .

((أمرها أن تقف مستسلمة لأمره، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته، مسخّرة لأمره))[١]، أمّا العالم الثاني وهو عالم الإنسان فهو عالم يملك حريّة الاختيار، لم يكن مبرمجًا مسبقًا، إذ يقول عليه السلام: ((يفرّق بها بين الحقّ والباطل))[٢].

ماذا نستنتج من هذين التصنيفين؟ ماذا كان يدور في ذهن الإمام عليّ وفكره؟ وكأنّه أراد أن يقول إنّ الحريّة هي الفيصل بين العالمين، وإنّها أعلى قيمة إنسانيّة، فالإنسان هو الكائن الكونيّ الوحيد الذي يمتلك الحريّة، إنّها هبة من اللَّه لا يُعطيها لغيره، إنّها مقدّسة، وفقدان هذه الحريّة هو الانتقال من عالم الإنسان إلى عالم الحيوان، وسلب هذه الحريّة هي الاعتداء على أكبر الحرمات المقدّسة، ولذا يقول: ((لا تُكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنّهم مخلوقين لزمان غير زمانكم))[٣]، وفي ضوء هذه النقطة بنى الإمام علي جلّ أفكاره، ومنها نستطيع أن نفسّر مجمل تصرّفاته.

كان الإمام عليّ يُحذِّر الناس من الانتقال من العالم الإنسانيّ إلى العالم الحيوانيّ، على الرغم من الضغوط التي كان يعاني منها، فلم تزحزحه قيد أنملة من عالمه الإنسانيّ، وكان الإمام عليّ إنسانًا كاملًا بمعنى الكلمة، لذا كان يقول: ((أُحذِّركم من الدنيا؛ فإنّها منزل قلعة - أي ليست مستوطنة- وليست بدار نجعة - أي محطّ رحال ومنتجع- كم واثق بها فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرعته، أفهذه الدنيا تأثرون أم إليها تطمئنّون أم عليها تحرصون، مُلكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب))[٤].

---

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية، سيّد عطية أبو النجا: ٥٢ .
(٢) م.ن: ٢٤١ .
(٣) الملل والنحل، الشهرستاني: ٢/ ١٤٤ .
(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧/ ٢٤٦ .

٣. مفهوم العمل:

وردت كلمة العمل في القرآن الكريم ٣٦٠ مرّة، هذه الآيات حثّت على العمل الصالح الذي تترتّب عليه سعادة الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ ما كانُوا يَعْمَلُون﴾[النحل: ٩٧]، وقد أكّد الإمام عليّ مرارًا على اتقان العمل من كلّ جوانبه بقوله: ((قيمة كلّ امرئ ما يُحسنه))[١].

وهنا اخترت قولًا للإمام واتّخذته بوصفه نصًّا فلسفيًّا يعبّر عن رؤية الإمام عليّ في مفهوم العمل، وهو:

((اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غدًا))[٢]، إنّها فلسفة تفاؤليّة في الحياة، ملتزمة بقاعدة التطوّر الإنسانيّ مع أفق واسع من الحريّة الشخصيّة، وكان الإمام يُشدّد على أنّ التغيير والتطوّر الإيجابيّ لحياة الإنسان يخضع لضوابط يجب احترامها.

هذا النصّ هو خطاب ودعوة للإنسان، ليس فقط إلى كيفيّة العيش في الحياة، بل الأهمّ منه يمثّل دعوة الإنسان إلى كيفيّة مواجهة الحياة، يوجد اختلاف كبير بين المفهومين، فالحيوان والنبات والإنسان يعيشون في الحياة، ولكنّ الإنسان يتميّز بشيء آخر هو أنّه يواجه هذه الحياة، والمواجهة تعني العمل بالفعل، المواجهة لا تعني حلّ المشاكل فقط، بل تعني إيجابيّة العمل وحضور الخير للإنسان.

في هذا النصّ يرسم الإمام عليّ الإنسان كنقطة ضائعة بين اللامتناهيين، الحياة والموت، الدنيا والآخرة، وتنطلق رؤيته للعمل وللحياة والدين في منظور فلسفيّ،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/ ٣١٠ .
(٢) م.ن: ٧/ ٦٤ .

مـمّا يجعل الإنسان يُفكّر في معنى المفاهيم المهمّة، مثل الخلود والموت، والدنيا والآخرة، وجعل العمل كأساس لما يترافق معه من العمليّات المختلفة، كذلك يؤكّد بوضوح على أنّ محرّك الحياة والخلود، ومحرّك الموت والفناء، هما وجهان لوجود واحد وهو العمل، ففلسفة العمل تقابل فلسفة النظر، وترادف فلسفة السلوك الإنساني، أي ربط النظر بالعمل، وأحيانا يتحرّك العمل نحو الفناء، وأحيانا أخرى يتحرّك نحو الخلود، والشعور بالموت يشكّل إنسانيّة الإنسان.

الإشكاليّة في هذا النصّ هي: كيف يمكن للإنسان أن يعيش في الدنيا وكأنّه خالد، ويعمّر فيها وهو يدرك قصر عمرها و خرابها وزيفها وعدم وفائها وغدرها؟ كيف يمكن لإنسان أن يعمِّر شيئًا لا يحبّه وهو رأس الفتن وأصل المحن، ويقول حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة؟ من الأولى أن يخشاها ويبتعد عنها ويهرب من أمامها ويتركها كما تركها المسيح بن مريم، بقوله: ((وإنْ شئت قلت في عيسى بن مريم.. ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يحزنه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّتُه رجلاه، وخادمه يداه))[1]، ومن بعدهم الأنبياء والزهّاد، والإمام هو واحد منهم؟

كيف تجمع بين الخلود والموت؟ وبين الدنيا والآخرة؟ وبين الخيال (كأنّك تعيش أبدًا وتموت غدًا)، وبين الحقيقة بأنّك غير خالد وغير ميّت؟ كلّنا شاهد حالة الموت إلّا أنّنا لم نعِشها، كذلك خلود الأشياء؛ لأنّنا لن نعيش حالة الخلود، هذه الإشكاليّة سوف نجيب عنها عن طريق الفلسفة، فما مفهوم الوجود والقيم والمعنى للوجود عند الإمام عليّ؟ إذا توصّلنا إلى معرفة هذه المفاهيم فمن الممكن أن تساعدنا في حلّ الإشكاليّة السابقة.

أعطى الإمام الجواب على هذه الإشكاليّات أوّلًا بالمعرفة الدقيقة لقوانين

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية: ٨٢ .

الوجود وما على الإنسان إلّا أن يرافقها ولا يقاومها، قال: ((إنّ أولياء اللَّه هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجالها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها وخشوا أن يُميتَهم، وتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم))[1]، وثانيًا بثنائيّة فلسفة الشيء ونقيضه.

٤. مفهوم العدل:

تعدّ قيمة العدل من أهمّ القيم بين قضايا الفكر الإنسانيّ؛ لأنّ مفهوم العدل لا يتوقّف عند إعطاء الحقّ لأهله وافيًا غير منقوص، بل يتعدّاه إلى أفق أوسع بكثير من هذا الحدّ. وقد ذكرت الكتب المقدّسة (التوراة، والإنجيل، والقرآن) والفكر الأسطوريّ الإغريقيّ قصصًا للإجابة عن سؤال طرحه الإنسان منذ قديم الأزل في الحضارات المختلفة وهو: كيف بدأ الخلق؟ الصياغة التي تبنّت هذه القصص هي صياغة فلسفيّة تتكوّن من نظام من الرموز شبيه بالفلسفة.

تخبرنا جميع الأمم (السومريّة، والأكديّة، والبابليّة، والفرعونيّة، والإغريقيّة، والديانات الإبراهيميّة)، بالعديد من القصص حول نشأة الكون وخلق الإنسان، وهي قصص تختلف كثيرًا في مجرياتها وتفاصيلها، إلّا أنّها على الرغم من الاختلاف، تحوي إطارًا مشتركًا واحدًا يجمعها سويًّا، هذا الإطار المشترك يرمز إلى مولد الفكر الإنسانيّ.

هذه القصص تبيّن بأنّ هناك إلهًا أو ربًّا خلق الكون، وكلّ شيء خُلِق وقُدِّر بنظام دقيق لا عيب فيه، وجعل الربُّ لكلّ مخلوق مكانًا محدَّدًا، جعل للطير مكانًا في أعالي الجبال والأشجار، فزوّدها بأجنحة للطيران وريش يكسو جسمها ويحميها من البرد والحرّ، كذلك جعل للأسماك مكانًا في أعماق البحار، فزودها بالخياشيم والزعانف والأصداف؛ لكي تعيش في أعماق البحار، كذلك للأرنب والفأر مكان

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية: ٥١ .

في جحور الأرض، فزوّدها بالمخالب لتحفر الجحور.

أمّا الإنسان فلم يعطه الربّ أيّة وسيلة؛ لأنّ الخالق لم يُحدِّد مكانًا خاصًّا للإنسان في الكون، فقد جهّزه بالعقل، وبواسطة العقل يجد الإنسان مكانه الطبيعيّ المحدَّد له، من هنا بدأت رحلة الإنسان المعرفيّة في اكتشاف سنن الكون وقوانينه؛ لكي يجد مكانه الصحيح، فقد طوّر البابليّون التقنيات الحسابيّة للتنبّؤ بالظواهر الفلكيّة من الخسوف والكسوف، كذلك سعى الإغريق في الطريق نفسه عن طريق فيثاغورس وأرخميدس وبطليموس، أمّا في القرآن، فقد كانت أوّل آية نزلت على صدر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ﴾[العلق: ١]، أي طلبَ منه أن يقرأ الخلق، يقرأ سنن الكون؛ حتّى يجد مكانه الصحيح في هذا العالم، ويمكن القول بأنّ مفهوم قيمة العدالة هو أوسع بكثير من تحديدها بعلاقة الإنسان مع الآخر فقط، بل كذلك بعلاقة الإنسان مع الكون.

إنّ مفهوم العدل عند الإمام عليّ كان يشتمل على حقلين: الأوّل هو ما يشمل علاقة الإنسان مع الآخر، منها قوام الرعيّة، وفضيلة السلطان، وتنزيه المظالم، أي بالعدل يتمّ الإصلاح، هذا الحقل أجاد في توضيحه الأديب اللبنانيّ جورج جرداق في كتابه الموسوم بعنوان (الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة)، إذ طرق الكاتب أبوابًا جديدة لم يسبقه أحد، وكان في خمسة مجلّدات، وهي: عليّ وحقوق الإنسان، وبين عليّ والثورة الفرنسيّة، وعليّ وسقراط، وعليّ وعصره، وعليّ والقوميّة العربيّة، هذه الأجزاء دفعت مكانة الإمام شخصًا وقيمًا إلى الوجهة الإنسانيّة.

الهويّة الأوربيّة بُنيت على أساس ما يُميّز الفرد عن الآخر، وليس بما يجمعه مع الآخر، فقد انتشرت في بيئاتهم ثقافة أنّ الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وكثير من السوداويّات التي يعانون من مخامرتها أذهانهم، بينما نجد أنّ الإمام عليّ قد وضع

نظريّة لم يسبق لها مثيل، لا عند فلاسفة الإغريق ولا عند فلاسفة النور الأوربيّين، وهي نظرية الابتلاء، أي الآخر لا دور له في سعادتنا ولا في أحزاننا، بل الآخر هو مرآة لنا؛ لنرى مواطن ضعفنا وقوّتنا. ولتوضيح هذه الفكرة، نفكّك نصًّا من كتاب بعثه الإمام عليّ إلى معاوية ابن أبي سفيان، وهو نصّ فلسفيّ بامتياز، يقول فيه: ((أمّا بعد، فإنّ اللَّه جعل الدنيا [ساحة الوجود] لما قبلها، وابتلى فيها أهلها [نظام لعبة الوجود]؛ ليعلم أيّهم أحسن عملا [الغاية من الوجود]، وقد ابتلاني اللَّه بك، وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجّة على الآخر))[١].

في نصّ هذا الكتاب كان الإمام عليّ واضح وصريح بأنّ المشكلة ليست في معاوية أو في الإمام عليّ، بل المشكلة في الحجّة، وهي الذات البشرية في قدرتها على إدارة جدليّة الابتلاء، وهـذا المفهوم صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرين﴾[البقرة: ١٥٥]، فهنا الابتلاء ليس البلاء، بل هو الامتحان لمعرفة كيفيّة إجابة الإنسان عن هذه الأسئلة.

أمّا الحقل الثاني الذي يشتمل عليه مفهوم العدل، فيعني أنّ العدل هو وضع كلّ شيء في موضعه الصحيح، ((إنّ العدل ميزان اللَّه الذي وضعه للخلق، ونصبه لإقامة الحقّ، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه))[٢]، وقد بينّ الإمام علي هذا المفهوم للعدالة بقوله: ((وتحسب أنّك جُرْم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر))[٣].

---

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١١٢ .

(٢) ميزان الحكمة: ٣/ ١٨٣٨ .

(٣) جواهر المطالب في مناقب الإمام علّي، ابن الدمشقيّ: ٢/ ١٣٦ .

٥. مفهوم الحوار:

يزخر القرآن الكريم بكثير من الآيات والدلالات ذات الشكل الحواريّ، ومنها قوله تعالى: ﴿قالَ لَهُ صاحِبُهُ وَ هُوَ يُحاوِرُهُ أَ كَفَرْتَ بِالَّذي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا﴾[الكهف: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَجادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَن﴾[النحل: ١٢٥].

الإمام عليّ عليه السلام أرسى أجمل قواعد للحوار وأكملها، إذ بها تتوحّد الأمّة وتُصان كرامة الإنسان وتُقدّس الحياة، وأشار إلى قواعد ومرتكزات أساسيّة للوصول إلى تلك الأهداف العليا. والحوار الصحيح مناظرة لا مهاترة، تعارف لا تخالف، حديث مودّة لا حديث بغضاء، الحوار الموضوعيّ بنظر الإمام عليّ يفترض التسامح والتفاهم والاحترام والتقدير بين المتحاورين، فإنّ شرعة اللاعنف التي نادى بها عليه السلام في مسيرة حياته هي شرعة الرسول محمّد صلى الله عليه وآله، وشرعة الحوار الصحيح في الحقيقة الدينيّة، هي أصلًا شرعة القرآن، قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٥٦]، فالعقيدة الصحيحة المبنيّة على القرآن تفرض احترام المحاور مهما كان رأيه، ويجب تقدير عقيدته، وإن كنّا لا نأخذ بها، ولقد سنّ القرآن هذه السنّة بقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دينُكُمْ وَ لِيَ دين﴾[الكافرون:٦].

القرآن بالنسبة للإمام عليّ هو دعوة، وكلّ دعوة عبارة عن حوار، فالقرآن دعا الناس للحوار، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[الحجرات: ١٣]، ولم يُنزَّل للتخاصُم، فاللَّه سبحانه يبيّن في الآية المباركة أنّ الحياة هدفها التعارف، أي الحوار، وقد بيّن القرآن الإطار العام لهذا الحوار بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وكان الإمام عليّ يرى أنّ الحوار مع الناس يجب أن يسبقه حوار مع الذات، وقد أوضح هذا المفهوم بقوله: ((مُعلِّم نفسِه ومؤدِّبُها أحقُّ بالإجلال من معلِّم الناس ومؤدِّبهم))[1]، فالحياة بالنسبة إلى الإمام عليّ هي حوار، ووجود العنف دليل على انعدام الحوار، ممّا يؤدّي إلى توقّف عجلة التقدّم في الحياة.

٦. مفهوم وحدة الأمّة عند الإمام عليّ:

لا يوجد دين من الأديان تأسّست دعوته على مفهوم الأمّة مثل الدين الإسلاميّ، مفهوم الأمّة عند العرب والمسلمين مفهوم عقديّ وسياسيّ، وهو محور نظريّة وشرعيّة الحكم عند العرب والمسلمين وليومنا هذا، والإسلام عند المسلمين ليس دين طقوس وعبادات فقط، بل هو ثقافة وحضارة، ولذا فإنّ القانون (الشريعة) ومفهوم الدولة فيه أساسيّ، حتّى لو لم يكن ظاهرًا عليه. ومن جهة العقيدة فإنّ مفهوم الأمّة معروف ولا لبس فيه في القرآن الكريم، إذ وردت لفظة الأمّة في القرآن الكريم أربعًا وستّين مرّة بصيغ مختلفة، مفهوم الأمّة يحتوي على المفهوم العقدي والسياسيّ، والمفهوم العقديّ كان واضحًا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾[الأنبياء:٩٢]، الإشكاليّة كانت في المفهوم السياسيّ لوحدة الأمّة الإسلاميّة في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، ولم يكن آنذاك قد تأسّس نظام سياسيّ راسخ عند عرب الجزيرة؛ لأنّه ليس للعرب عهد أو سبق في هذا المجال، وجمع الرسول صلى الله عليه وآله ثنائيّة الدين وشبه الدولة المبنيّة على العقد الاجتماعيّ، أمّا في فترة الخلفاء الأربعة، فقد أخذ مفهوم الأمّة مفهومًا سياسيًّا باختيارهم النموذج السياسيّ الرومانيّ غير الوراثيّ، وهو عبارة عن مجلس مقرّب من المحاربين الأوائل،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/ ٢٢٠ .

وهم مسؤولون أمام تنصيب قيصر روما أو عزله، فأخذ الخلفاء هذا النظام على شكل مجلس من العشرة المبشّرة بالجنّة وهم الصحابة الأوائل للرسول وجلّهم من عرب قريش، فأبعدوا الأنصار وغير العرب من شرعيّة حكم الأمّة، إلّا أنّ الإمام عليّ خالف هذه القاعدة؛ لأنّ انتخابه وشرعيّته جاءت من الأمّة الإسلاميّة من عرب وعجم؛ لأنّ التعدّديّة والاختلاف بين الناس في نظر الإمام عليّ أمر واقع وملموس، ولكنّها بدلًا من أن تكون مجالًا للخلاف والنزاع والسيطرة، ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة المجتمع الإنسانيّ. ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى بوضوح في قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوبًا وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾[الحجرات:١٣]، والتعارف هنا إنّما هو الحوار، فالحوار ظاهرة إنسانيّة عالميّة وسنّة إلهيّة، ونتيجة لهذا الاختلاف في الرأي، جاء الحوار كوسيلة للوصول إلى الحقّ والصواب، بل وسيلة لوحدة النسيج الاجتماعيّ للأمّة، وحدة الخالق يأتي من وحدة المخلوق، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٩٢] .

وضع الإمام عليّ في مسيرته التي ما تزال معينا لا ينضب من الفضائل والمكارم، أصولًا كثيرة في التعامل، على أساسها تُعزّز وحدة أمّة الإنسان وحماية كرامته، في وقت دأبت تلك الأمّة على الشقاق والانقسام، وكان يوصي المسلمين قائلًا: ((والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد اللّه مع الجماعة، وإيّاكم والفرقة))[١] .

ولقد بذل الإمام كلّ طاقته بعد مقتل عثمان بن عفان لإعادة وحدة الأمّة، ولم يقبل الخلافة إلّا من أجل ضمان وحدة الرعيّة، فإنّه غلّب الدين على السلطة، ولم يكن اهتمامه بالسلطة بقدر اهتمامه بمصلحة الناس، وكانت رؤيته لوحدة الأمّة

(١) بحار الأنوار: ٦٥/ ٢٨٩ .

نابعة من مفهومه للدين كنظام، وللقرآن كدستور يجتمع حوله الناس، والقرآن يؤكّد في آيات كثيرة على وحدة الأمّة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فاعبدونِ﴾[الانبياء:٩٢]، وكان الإمام عليّ يعدّ تمزّق الأمّة وانقسامها ناتج من سوء الفهم للقرآن، ممّا يؤدّي إلى سوء الفهم لعقيدة التوحيد، إذ يقول: ((ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثمّ ترد القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، وإلاههم واحد ونبيّهم واحد وكتابهم واحد، فهل أنزل اللَّه سبحانه دينا ناقصًا فاستعان بهم على إتمامه؟ أم أنزل اللَّه دينًا تامًّا فقصّر الرسول عن تبليغه وأدائه؟ واللَّه سبحانه يقول ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وفيه تبيان لكلّ شيء، وذكر: أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا، ولا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾[النساء:٨٢]، وأنّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تُفنى عجائبه، ولا تنقض غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلّا به))[١] .

٧.مفهوم الأخوّة:

الأخوّة هي الرابطة العالميّة للإنسان، فالإنسان أخ الإنسان من جهة الجنس والخلقة، وتعدّ الأخوّة من أهمّ المبادئ والقيم الإنسانيّة التي أكّد عليها القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون﴾[الحجرات:١٠]، فمفهوم الأخوّة تعمّق فيه الإمام عليّ وحدّد أبعاده بشكل قلّ نظيره، قال: ((الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))[٢]، هذه المقولة، (إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠/ ١١٣ .
(٢) نهج البلاغة- خطب الإمام علي: ٣/ ٨٤ .

الخلق)، من روائع كلمات الإمام التي تتجلّى فيها النزعة الإنسانيّة الخلّاقة، وتبقى فيها روح التواصل الإنسانيّ الأخلاقيّ على مستوى الناس كافّة، وتجعلهم ينظرون لأنفسهم بأنّهم جذعان مشتركان لا ثالث لهما، وهما رابطة الاشتراك في الدين، ورابطة الاشتراك في الخلق، والحكمة البالغة في هذه المقولة، هي أنّ رابطة الاشتراك في الدين، لا تُلغي رابطة الاشتراك في الخلق، بل هي ثنائية لا فصال بينهما، وإنّما جاءت لكي تفتح وعي الإنسان على هذا الرابط الإنسانيّ، وتجعل منه منظورًا إلى رؤية العالم، هذه الرؤية هي بخلاف تلك الأفكار والتصوّرات التي أخذت تنبعث اليوم، وتُصوّر أنّ الدين يُحرّض على القطيعة والانغلاق عن الآخر في العقيدة والإيمان.

فسعى إلى أن لا تختفي قيمة الأخوّة تمامًا من المشهد السياسيّ؛ لكون الإمام عليّ خليفة ورجل على راس أكبر امبراطوريّة عالمية إسلامية، وقد شهدت هذه الامبراطوريّة حروبًا داخليّة، وتمزّقًا في نسيج وحدة الأمّة الإسلاميّة، وحروبًا طاحنة بين الأخوّة في الدين والوطن واللغة، وحتّى بين الأخوّة في الدم، فاعتبر الإمام عليّ مفهوم نظير لك في الخلق هو الجذع المشترك والذي يتعلّق بوجودنا البشريّ.

يضع لنا الإمام عليّ في نهجه نظريّات متكاملة، تتناول سُبل التواصل والتوافق بين البشر، وقد أجاد في كلّ وصاياه لِوِلاتِه في الأمصار المختلفة، ومنها كتابه لمالك الأشتر لمّا ولّاه على مصر وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن، محور هذا النصّ كان قيمتين أساسيّتين جعل الإمام منهما مظلّة التعايش والتراحم بين الناس جميعا، وهما الأخوّة في الدين، وهي الرابطة التي تستوعب التعدّديّة والثقافات المختلفة في عقد يُسمّى الأخوّة، والقيمة الثانية وهي النظير في الخلق، وهي الاعتراف بالآخر على قَدَم المساواة في الإنسانيّة، وليس العضويّة في كيان أو مجموعة، بل بالانتماء المشترك للجنس البشريّ.

وعلى سبيل المثال: في ٥ مارس من عام ٢٠٢١م تمّت زيارة قداسة البابا فرنسيس للعراق، وشاهدنا لافتات عليها صورة قدّاسة البابا والسيّد السيستانيّ مكتوب عليها: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، كذلك لاحظنا عندما استقبل رئيس جمهوريّة العراق السيّد برهم صالح البابا، قال في خطابه واستشهد بقول الإمام عليّ، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق. والسؤال هو: ماذا كان يقصد العراقيّون والسيّد برهم صالح من (أخ لك في الدين ونظير لك في الخلق)؟ هل يقصدون أنّ قدّاسة البابا ليس أخ السيّد السيستانيّ في الدين بل في الخلق، أو هناك تفسير آخر؟ المفهوم العامّ عند العراقيّين وحتّى في تفسيرات نهج البلاغة، أنّ المسيحيّ هو ليس أخ المسلم في الدين، بل نظير له في الخلق، وهل كان هذا المفهوم الاصطلاحيّ للنصّ عند الإمام عليّ؟ الجواب على هذا السؤال يتطلّب منّا معرفة مفهوم الإمام للدين وخاصّة إلى الإسلام.

بعد تفكيك قول الإمام عليّ وتحليله وشرحه، حصلنا على ثلاث قراءات متقاربة ومتباعدة في الوقت نفس، ولمعرفة أيّة قراءة هي الأقرب إلى كلام الإمام عليّ وفكره وقصده، علينا فحص كلّ قراءة بدقّة على أساس قربها وبعدها من فلسفة الإمام عليّ ورؤيته للإنسان والحياة، وكذلك قربها وبعدها من القرآن الكريم، ولا شكّ أنّ كلام الإمام عليّ هو نظريّة عامّة وقيمة عامّة لا يحدّها الزمان والمكان والشخوص، بل إنّها صدرت من مكان خاصّ وهو مصر، ومن زمان وشخوص خاصّة، ولكنّ الخاصّ لا يلغي العام، مثلما حدث على سبيل المثال في أثينا، فقد ولدت الفلسفة وأصبحت مفهومًا عالميًّا، وكذلك القرآن نزل وولد في جزيرة العرب، إلّا أنّ خطابه عابر لحدود المكان والزمان والأفراد.

القراءة الأولى: تعني عبارة (أخ لك في الدين)، أي في الدين الإسلاميّ، أي بين من يشهد الشهادتين، (أشهد أن لا إله إلّا اللَّه وأنّ محمدًا رسول اللَّه)، وأمّا بقيّة الخلق فهم نظير في الخلق، وما زيارة قدّاسة بابا الفاتيكان فرنسيس للعراق إلّا دليل لهذا المعنى، فهو أمر يدعم هذه القراءة، أي المعنى بأنّ البابا هو نظير في الخلق، وهذه القراءة لا تحتاج إلى الإثبات.

القراءة الثانية: معنى (أخ لك في الدين)، لا تشمل فقط من يقول الشهادتين، بل تشمل اليهود والمسيح والصابئة، أي كلّ من يعتقد بوحدانيّة اللَّه، أي أخ لك في دين التوحيد، أمّا من هم خارج دين التوحيد فهم نظير لك في الخلق. هذه القراءة تحتاج إلى الإثبات والدليل القاطع، هذه الأدلّة يجب توفرها من القرآن وليس من خارجه، إذ لكلّ دين كتاب، وأتباعه يسمّوَن باسم الدين، هل اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام المحمديّ والصابئة دين واحد هو دين التوحيد؟ إذا كان الجواب نعم، فهل لهم كتاب واحد وليس كتب؟ وإذا كان الجواب نعم، هل كلّهم أتباع هذا الدين وهذا الكتاب؟ الإجابة عن هذه الأسئلة نحصل عليها من القرآن الكريم.

القراءة الثالثة: أخ لك في الدين لا تمرّ من طريق وحدة الشهادتين، ولا من طريق وحدة دين التوحيد، بل أخ لك لأنّه يشترك معك بأنّه يملك عقيدة دينيّة ومعتقد دينيّ ليس بالضرورة أن تكون عقيدة توحيديّة، بل عقيدة وشريعة خاصّة به تنظّم حياته، مثل الديانة البوذيّة والهندوسيّة وحتّى الديانة المتعدّدة الآلهة مثل الفرعونيّة والإغريقيّة، أمّا نظير لك في الخلق في هذه القراءة فهو يشمل كلّ البشر دون عوائق فكريّة أو جغرافيّة أو طبقيّة، يشمل الحرّ والعبد، الأسود والأبيض، الرجل والمرأة، المؤمن والكافر، الموحّد والمشرك، المؤمن والملحد.

٨.المعنى من الوجود (الهدف):

غالبا ما يُطرح هذا السؤال الميتافيزيقيّ في شكل سلسلة من الأسئلة: من نحن؟ ومن أين أتينا؟ ولماذا أتينا؟ وماذا يمكننا أن نفعل هنا؟ وماذا نأمل؟ وإلى أين نذهب؟ وعبر التاريخ في الثقافات البشرية، تناولت العديد من التيارات الفكريّة والفلسفيّة والدينيّة والعلميّة هذه الأسئلة لمعالجة كلّ منها على طريقتها الخاصّة، ممّا أدى إلى ظهور العديد من المناهج المختلفة، بل والمتناقضة في بعض الأحيان.

أجاب الإمام عليّ على هذه الأسئلة؛ لأنّه أدرك بوجود تعطُّش محفور في قلوب البشر لمعرفة سرّ الوجود وبصورة خاصّة الوجود البشريّ، وهذا يفسّر عالميّة الإمام عليّ وشهرته؛ لأنّه أعطى معنًى للوجود الإنسانيّ وبيّن أنّ هذا الوجود لا يُحرِّر الإنسان من نفسه ذاتيًّا، بل من الضروريّ المرور به والعمل فيه، كذلك سعى الإمام بشرح هذه الوجود ونظامه وسننه وتفصيله؛ لإعطائه سبب، أي ليس فقط كأساس، ولكن أيضا كغاية ممكن للإنسان أن يضع نفسه فوق الوجود.

كذلك وضّح الإمام بأنّ معنى الحياة والوجود يكمن في قيمة أعمالنا، في حين ينتظر الإنسان الحكم الإلهيّ، الذي يمكن أن يحدث بعد الموت أو في أيّ لحظة من الحياة، وقد جمع الإمام الوجود البشريّ المحكوم بالعمل، بالوجود الإلهي الغيبيّ الذي نراه في كلّ مكان، وهو المنظّم والمدبّر لهذا الوجود؛ لأنّ الإنسان في حقيقته ذات في طور الإمكان، أي إنّه طاقات مركّزة غير مفعّلة تسير في الحياة مسارًا يحوّلها من الإمكان نحو التحقّق ومن التعطيل نحو التفعيل، وما الخوف من الموت إلّا عامل معطّل لتلك الذات، فعبّر الإمام عن الوجود الإلهيّ المنظّم والمدبّر لهذا الكون؛ حتّى يدفع الإنسان لمواجهة قلقه الشخصيّ، هذا هو جوهر الوجود الإنسانيّ في هذا العالم الذي عبّر عنه الإمام عليّ، ولذلك كان له مفهوم خاصّ للعبادة بقوله:

((إلهيّ ما عبدتك خوفًا من نارك، ولا طمعًا في جنّتك، ولكن وجدتّك أهلًا للعبادة فعبدتك، إنّ قومًا عبدوا اللَّه رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قومًا عبدوا اللَّه رغبة فتلك عبادة التجّار وإنّ قومًا عبدوا اللَّه حبًّا (شكرًا) فتلك عبادة الأحرار))[1].

هذا القول المأثور والمشهور الذي ينسب للإمام عليّ، استوقفني طويلًا، فرأيته نصًّا فلسفيًّا عميقًا محوره مفهوم العبوديّة، وفي طيّاته كثير من الحكم، ويُمثّل خريطة طريق للدنيا وللآخرة التي يجب أن يضعها الإنسان لنفسه، قد تعطينا أقوال وحكم الإمام عليّ الإحساس بأنّنا ممكن أن نفهم قوله، وندرك أبعاده من دون بذل جهد كبير، لكنّ الحقيقة أعمق ممّا نتصوّر، هذه السهولة البلاغيّة تُخفي وراءها هندسة عظيمة من الفلسفة العميقة، والسؤال الذي يمكن أن نطرحه، هل ممكن القول بأنّي أعبد اللَّه ليس لأنّه يستحقّ العبادة بل أعبده خوفًا من ناره وطمعًا في جنّته، أي طاعة مشروطة؟

هذه الطاعة لا يمكن أن نُسمّيها بالعبوديّة للَّه سبحانه، بل للبشر، وقول الرسول صلى الله عليه وآله واضح في هذا الجانب، فعلى الرغم من أنّ اللَّه سبحانه وتعالى غفر ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، إلّا أنّه استمرّ في العبادة غير المشروطة.

وهنا تظهر للسطح إشكاليّة كبيرة وهي: أنّ القرآن الكريم في مواضع عديدة يبيّن خلاف ما نعتقده ونقوله، أي العبوديّة للَّه مشروطة بالثوابت والعقاب، ومنها قوله تعالى: ﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[السجدة:١٦]، وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدين﴾[الأعراف:٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكانُوا لَنا خاشِعين﴾[الأنبياء:٩٠].

---

(١) تفسير الصافي في تفسير كلام اللَّه الوافي: ٣/ ٣٥٣.

هذه الإشكاليّة تقودنا إلى تفكيك النصّ ومن ثَمّ إعادة تركيبه حسب منهج الفيلسوف الفرنسيّ دريدا، أي فصل النصّ إلى أمرين مستقلّين، كلّ منهما منفكّ عن الآخر، والجسر الرابط بينهما هو مفهوم العبوديّة.

الأمر الأوّل: وجوب الثواب والعقاب، العبوديّة للَّه سبحانه هي حصيلة الخوف من دخول النار والطمع في الجنّة، هذه العبادة هي شأن معظم الناس؛ لأنّ العامل النفسيّ يهيمن على الفكر البشريّ، إذا وجد الخوف، وجد معه الطمع والرغبة، الخوف من الإملاق والفقر يلازمه الطمع في الثراء والغنى، كذلك الخوف من الرسوب في الامتحان، يلازمه الطمع في النجاح.

في هذا الأمر، مفهوم العبودية للَّه سبحانه هي العبودية للَّه الحاكم، هنا اللَّه سبحانه هو الذي يحكم بالثواب والعقاب، والخير والشر، والغنى والفقر، وبالهلاك والنجاة، فمفهوم الحياة البشريّة في هذه الحالة تصبح كأنّها ساحة الإنسان المتّهم في محكمة العدل الإلهيّ منتظرًا الحكم عليه.

الأمر الثاني: قول الإمام: (إنّي وجدتك أهل للعبادة... تلك عبادة الأحرار)[1]، يدلّ على وجوب القيام بحقّ الربوبيّة بغض النظر عن الثواب والعقاب، أي العبودية للَّه سبحانه غير مشروطة، هذا الجزء من النصّ يُعطي للَّه سبحانه مفهوم الخالق وليس الحاكم؛ لأنّ الخالق لا يحكم، لتوضيح جوهر هذه الفكرة سوف نعطي بعض الأمثلة ومنها:

الشخص الذي اكتشف الكهرباء، أو اخترع السيارة، أو التليفون، لم يضع شرطًا مسبقًا لمن يستخدمه، ولا على الهدف من استخدامه؛ لأنّه اخترع هذه الآلة لخدمة الناس، كذلك اللَّه سبحانه، خلق الإنسان، لا ليحكم عليه في الدنيا بل تركه

---

(١) شرح نهج البلاغة- لابن أبي الحديد: ١٩/ ٨٢.

حرًّا في اختياره، ولهذا سُمّيت الآخرة بيوم الحساب والعقاب، أو دار الجزاء، وهناك آيات بيّنات تعزّز هذا التفسير كقوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذي يُوعَدُون﴾[الزخرف:٨٣]، وقوله تعالى: ﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخاسِرُون﴾[النحل:١٠٩].

هنا أيضا تواجهنا إشكاليّة أخرى في هذا التفسير، وهي أنّ اللّه سبحانه خالق كلّ شيء، وهو مالك الملك، ولا يحدث في ملكه شيء إلّا بإذنه، ولذلك فحكمه وأمره هما اللذان يجب أن يَنفَذوا في كلّ شيء، وقوله تعالى: ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِم﴾[الأحزاب:٣٦]، هذه الآية تبيّن بوضوح أنّ اللّه سبحانه هو الخالق والحاكم في الحياة الدنيا والآخرة، إذن، كيف نستطيع حلّ هذه الإشكاليّة؟ علما بأنّنا قلنا مسبقًا: إنّ النصّ يحتوي على أمرين منفصلين؟ الجواب: الأمران، الأوّل (بوجوب الخوف والطمع)، والثاني (بعدم وجوب الخوف والطمع)، أمران متّصلان، ولتوضيح هذه الفكرة لدينا أكثر من مثال، منها:

اللّه سبحانه خلق الإنسان، وقدّر له الجوع والعطش، وما على الإنسان إلّا أن يخضع لهذه القوانين ويحترمها إن أراد الحياة، كذلك حكم عليه وأصبح العمل قدره، وما من حيوان أو إنسان إلّا حكم عليه الجدّ والسعي لكي يعيش، هذه النظم والسنن الكونيّة فُرِضت على الإنسان وما عليه إلا الطاعة، وهنا اللّه سبحانه هو الحاكم، والطاعة هي السلامة؛ لأنّ العقل هو الفيصل في الرشاد إلى الطريق الصحيح، أمّا كيفية التحرُّر من الثواب والعقاب، فهو ليس إبعادها عن العبوديّة، بل هو التحرُّر من نتائج هذه العبوديّة، أي: أعملُ جاهدًا لكي أحوز قصب السبق في الخير والرزق والعافية، إلّا أنّ النتيجة لم أُقرُّها أنا، بل اللّه سبحانه هو المقدِّر، ومهما كانت النتيجة فهي خير لي، وهنا ندخل مساحة أنّ اللّه هو الخالق، وهي

مساحة الإيمان، أي القلب وليس العقل، لتوضيح هذه الفكرة نأخذ مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصيبَنا إِلاَّ ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾[التوبة:٥١]، وكذلك قوله تعالى للرسول صلى الله عليه وآله: ﴿وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ رَمى﴾[الانفال:١٧]، فإنّ هذه الآيات تبيّن بوضوح أنّ اللّه سبحانه وتعالى هو الخالق والحاكم، وكلّ شيء يسير بقدرته، وهو يُقرّ النتائج مهما كانت نوايا البشر، من هذا الاستنتاج ممكن القول بأنّ ثنائية الخالق والحاكم هي تعبير عن ثنائية العقل والإيمان، وما الإيمان إلّا أن يكون الإنسان حرًّا من نتائج عمله؛ لأنّ النتائج تخصّ مساحة الخالق وقدرة، وليس المخلوق، أي إنّ القيم الروحية هي القيم التي تقهر شبح الخوف. إنّ الإمام عليّ عليه السلام لم يدخل يومًا في جوفه الخوف، ولم يُقابل الخوف في حياته؛ لأنّه كان حرًّا ويدرك ما يقسمه اللّه له هو الخير.

الخاتمة:

تؤكّد هذه الدراسة على أنّ الإمام عليّ عليه السلام يُمثّل نموذجًا فريدًا لتجسيد القرآن الكريم في حياة الإنسان والفكر، إذ لم يكن مجرّد شخصيّة تاريخيّة أو سياسيّة، بل قرآنًا ناطقًا وفلسفةً متكاملة للحياة، فقد أظهرت النتائج أنّ فهمه للقرآن لم يقتصر على المعرفة الظاهريّة للنصوص، بل امتدّ إلى إدراك مقاصده، وتنظيم الحياة على وفق سنن الكون، وتمييز عالم الحريّة الإنسانيّة عن عالم المخلوقات المبرمجة، ممّا جعل الحرية أعلى قيمة إنسانيّة وأساسًا للسلوك والعمل.

وأبرز البحث أنّ فلسفة الإمام عليّ في العمل والمعرفة تُمثّل امتدادًا طبيعيًّا لرؤيته القرآنيّة، إذ ربط بين العمل الصالح وفهم قوانين الوجود، بين المواجهة الإيجابيّة للحياة وإدراك حقيقة الموت والخلود، بما يعكس رؤية متكاملة للإنسان والوجود. وأيضًا فإنّ هذه الدراسة تؤكّد على أنّ علاقة الإمام عليّ بالقرآن ليست مجرّد حدث تاريخيّ، بل تجربة وجودية وفكرية تعكس خصوصيّة شخصيّة كونية متفرّدة، تجمع بين الحكمة والعدل والمعرفة والعمل. ومن هنا، يظلّ الإمام عليّ عليه السلام نموذجًا عالميًا يُحتذى به في البحث عن فهم الإنسان والوجود، ويستحقّ الدراسة المتعمّقة والمستمرّة عبر الأجيال.

المصادر والمراجع:

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، دار الوفاء للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

٢. تفسير الصافي في تفسير كلام اللَّه الوافي، الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٥٩.

٣. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي، ابن الدمشقي، مجمع احياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٤.

٤. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.

٥. كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية، سيد عطية أبو النجا (١٩٨٦): الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٦.

٦. الملل والنحل، الشهرستاني، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦.

٧. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤٢٢.

٨. نهج البلاغة خطب وكلام أمير المؤمنين، دار الكتاب المصري، ط٤، ٢٠٠٤ .

٩. نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩.